جامعة الحاج لخضر باتنة
كلية العلو م الإنسانية و لإجتماعية والعلوم الإسلامية
كلية العلوم الإنسانية
قسم علم التاريخ

السنة الثالثة

تاريخ العالم العربي المعاصر

إعداد وتقديم
الدكتور :محمد العيد مطمر
أستاذ بكلية العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية
بجامعة الحاج لخضر -باتنة- الجزائر

السنة الجامعية 2014/2013

مكتبة الفتح (عند عاشور)

بسم الله الرحمن الرحيم

و الصلاة والسلام على أشرف المرسلين

مدخل لدراسة العلوم الإنسانية

(علم التاريخ)

مكتبة الفتح أون لاين

منذ سنوات عديدة، وأنا أحاضر بجامعتي بسكرة وباتنة، رأيت من المناسب كتابة المحاضرات وإخراجها تباعا، حتى يسهل إقتناؤها ومراجعتها واستيعابها، وهي تتضمن المواضيع الجوهرية، التي تدرس خلال سنة جامعية واحدة لمقياس، تاريخ العالم العربي المعاصر، بدءا من عام 2006م.

من الضروري، إن ألقي الضوء، ولو باختصار على ميادين المعرفة العلمية، التي من خلالها يعرف الإنسان نفسه، والعالم المحيط به، لا أعني شرح أو الغوص في مضمون وفحوى هذه الميادين، فذلك يحتاج إلى مجلدات ضخمة، وإنما أشير فقط لها.

إن المعرفة العلمية، تصنف إلى أربعة ميادين رئيسية هي : العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية والعلوم العضوية والعلوم الإنسانية، وكل من هذه المعارف، ينقسم إلى علوم متخصصة، فالعلوم الاجتماعية، تتناول الظواهر، والعلاقات، والحياة الاجتماعية بمختلف جوانبها وأبعادها، وتتناول العلوم الطبيعية، البيئة الطبيعية، التي يعيش فيها الإنسان، وتدرس الجمادات والفلك، وكذا الكيمياء والجيولوجية، وتشمل العلوم العضوية، علوم البيولوجيا، والتشريح، وهي تدرس كذلك النباتات والحشرات والأسماك والطيور.

أما العلوم الإنسانية، فهي تحتوي على العلوم، التي تدرس الإنسان من حيث هو الكائن الوحيد، القادر على بناء الأفكار والرموز، وامتلاك اللغة وإيجاد الحضارة، وإنه في عودة دائمة إلى ماض لا تقطعه الولادة، بل يخترقها وينفذ إلى ما وراءها،وهو في تجاوز مستمر لحاضره نحو المستقبل،لا يحده الموت نفسه، وبذلك فالإنسان، يتحرك بفكره كما

يشاء، لا يقيده زمان ولا مكان، وهذا ما يجعله سرا من أسرار الوجود، وهو حر طليق، هناك و هنا، والآن وكل آن.

إن العلوم الإنسانية، تشمل علوم كالفلسفة والتاريخ والأنثربولوجيا (علم دراسة الأجناس) وعلم النفس والعلوم الاقتصادية والسياسية والقانونية و الإدارية والدينية واللغوية والفنية، وهذه أمثلة على العلوم، التي تتناول الإنسان على سبيل المثال لا الحصر .

وبحسب الموضوع، سنبحث في واحدة منها، وهي علم التاريخ، وكلمة تاريخ في اللغة العربية، هي المقابل لكلمة HISTORY في اللغة الإنجليزية ، وكلمة HISTOIRE في اللغة الفرنسية، وكلاهما مشتق من الكلمة اليونانية HISTOR بمعنى التعلم والمشاهدة.

ونود أن نعرف علم التاريخ بأوسع معانيه، هو قصة ماضي الإنسان، أو هو عرض منظم مكتوب للأحداث، خاصة تلك التي تؤثر في أمة أو نظام أو علم أو فن،أو أنه العلم الذي يسعى إلى محاولة إنقاذ الحقائق الماضية من النسيان، والمؤرخ لا يسجل الأحداث الماضية باعتبارها خطوات في التقدم البشري فحسب، بل يسعى إلى إيضاح أسباب هذه الأحداث ودلالتها، ويعرضها على نحو يدل على تشابهها معا في قصة واحدة، ويستعين المؤرخ في ذلك بالآثار والروايات والمعاهدات والمذكرات والأساطير ...إلخ. ويقسم التاريخ عادة إلى قديم ووسيط وحديث ومعاصر، ولكن المؤرخين اصطلحوا على تسمية العصر الذي لا توجد له فيه سجلات بشكل منظم بعصر ما قبل التاريخ، وظهرت السجلات التاريخية، عقب ظهور الكتابة، وأقدم الحضارات، التي وصلتنا هي مصر القديمة وبابل والصين.

ويحاول المؤرخ، أن يعيدنا إلى أحداث الماضي مستخدما كثيرا من التفصيلات كما حدثت مثال ذلك، كيف اشتعلت الحرب الأولى في أوائل شهر أوت 1914م. وكيف اندلعت الثورة التحريرية الجزائرية في الفاتح من نوفمبر 1954م.وكيف وقعت الأحداث؟ وما هي العمليات الفردية التي تتكون منها ؟ ثم لماذا حدثت؟

مكتبة الفتح أغنى عاشور

من الأكيد، أنه لا يجوز فصل الثورة الجزائرية المسلحة عن المرحلة التي سبقتها في النصف الأول من القرن الماضي، وهي المرحلة التي يمكن تسميتها بفترة الكفاح السلمي، ويتبين من المثالين السابقين أن موضوع علم التاريخ، هو الحادثة التاريخية التي تتميز بالتالي:

1. حادثة إنسانية، لأنها من صنع الإنسان.

2. حادثة اجتماعية، لأنها نتيجة لعلاقة الإنسان بالإنسان، ضمن الحياة المشتركة

3. حادثة فريدة، لا تتكرر، أي أن علم التاريخ، يعني بأحداث فريدة من نوعها، فاستشهاد القائد مصطفى بن بولعيد، حادثة وقعت مرة واحدة ولا يمكن أن تقع مرة أخرى، وعلى المؤرخ أن يبرز خصائصها المميزة.

4. ذات معنى ودلالة، وهذه الخاصة، هي التي تميز الواقع الإنساني عن الواقع الطبيعي، إذ أن الإنسان لا يقوم بعمل إلا لتحقيق هدف، وهذا الهدف هو معنى عمله، فالحروب إما دفاعية و إما هجومية وإما تحريرية أو استعمارية .

5. حادثة مرتبطة تعريفا بزمان ومكان معينين، فإعلان استقلال الجزائر، حدث مرة واحدة في يوم 5 جويلية 1962م وارتفع علم النصر والاستقلال، فوق أول شبر من الأرض الجزائرية، وطأته قوات الغزو الفرنسي في شبه جزيرة سيدي فرج في 5 جويلية 1830م.

6. إن بين حوادث التاريخ ترابطا سببيا، فاستقلال الجزائر، كان نتيجة لنضال الشعب الجزائري،ضد الاستعمار الفرنسي، وتضحيات جسام، ونتيجة لظروف دولية معينة والكشف عن هذه الأسباب من عمل المؤرخ، الذي يستند إلى وثائق وروايات –إذا كان معاصرا للأحداث- وآثار تمكنه من إيجاد طريقة علمية وتحليلها ودراستها، دراسة تخضع للمنهج التاريخي، فالجهد العلمي المستمر من قبل المؤرخ، يتوصل بالنتيجة إلى كشف الحقائق، التي قد تكون نسبية، ونأمل،أن نكون بهذا العمل، قد ساهمنا بتقديم محاضرات في إطارها التاريخي للطلبة والمثقفين والقراء المهتمين بمادة التاريخ ، والله الموفق.

الأستاذ المحاضر

الدكتور محمد العيد مطمر

مكتبة أفق (د.محمد العيد مطمر)

العالم العربي منذ الحرب العالمية الأولى

(1914-1918)

تمهيد في موقع وأهمية العالم العربي

للعالم العربي أهمية كبرى، وتبرز هذه الأهمية في عدد من النواحي، يرجع بعضها إلى الموقع الطبيعي، وبعضها الآخر إلى الظروف الحضارية: التاريخية والاقتصادية خاصة.

يمتد العالم العربي على رقعة واسعة من قارتي آسيا وإفريقيا، فهو يمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى الخليج العربي شرقا، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى وسط إفريقيا جنوبا، وهو بذلك يتوسط القارات الثلاث: آسيا وإفريقيا وأوروبا ويشكل حلقة اتصال بين هذه القارات الثلاث، ويشرف على بحرين من أهم البحار وهما: البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر من حيث النشاط التجاري والملاحة الدولية، إذ أنهما يتصلان عن طريق مضيق جبل طارق، والمحيط الهندي شرقا عبر مضيق المندب.

إن أهمية العالم العربي، كحلقة اتصال بين الشرق والغرب، ازدادت بعد حفر قناة السويس في فترة(1859-1869م) واتصال مياه البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر، الأمر الذي قرّب موانئ غربي أوروبا وشرقي الهند إلى ما يقرُب من نصف المسافة، وما من شك، أن هذا الموقع الاستراتيجي الهام، يعتبر بحق، ملتقى طرق العالم البرية والبحرية والجوية، وله أهمية كبرى في مختلف عصور التاريخ، فالعالم العربي إذن، ما زال منذ أقدم الأزمنة إلى الآن، له ذلك الدور الهام جدا في الحروب والسياسة والمواصلات في العالم، وبحكم هذا الموقع الممتاز، فهو يعتبر منطقة مرور وحركة ملتقى التجارة في الشرق والغرب، وحلقة اتصال بين قارات العالم المتباينة مناخا وإنتاجا.

وفي المدة الأخيرة، حدث تطور هام بالنسبة لأهمية العالم العربي الاقتصادية، وذلك بظهور البترول كمادة إستراتيجية تبرز قوتها في عدد من الحقائق منها، أن أرضه تتميز بفيض من المدخرات البترولية، وبغزارة إنتاجية عالميا، وبانخفاض في التكاليف، إذ أن

مكتبة أفق (أعد وشارك)

مراكز إنتاج البترول، تقع في قلب العالم وتطل على أهم الطرق والشرايين العالمية، الواصلة بين أهم أسواق الطاقة العالمية.

إلى جانب ما تقدم، يعتبر العالم العربي من أقدم مواطن الحضارة الإنسانية، إن لم يكن أقدمها، فقد خطى الإنسان فيه بخطوات واسعة، سواء من الناحية العمرانية والثقافية التي تشهد بذلك آثاره القائمة إلى الآن، وهو مهبط وحي الأنبياء، الذين دعوا إلى التوحيد، وبلغوا كتب الله جل جلاله إلى البشرية، ومنه انتشرت رسالة الإسلام الخالدة، شاملة بقاع المعمورة، وبفضل علماء وفلاسفة الحضارة العربية الإسلامية، الذين لهم الفضل في تثبيت دعائم الإيمان بالعقيدة الإسلامية عقليا، وصمود الدين الإسلامي أمام الأعاصير عبر العصور.

مكتبة الفتح (عند عاشور)

الأسباب الأساسية للحرب العالمية الأولى

ظهرت الثورة الصناعية في أوروبا في القرن التاسع عشر، واشتدت حاجة الأوروبيين إلى المستعمرات، إما لاستغلال مواردها الأولية المنخفضة الثمن، أو لاتخاذها كأسواق لتصريف البضائع الصناعية الزائدة، أو لاستثمار رؤوس الأموال لتدر عليها الأرباح الطائلة، أو لتتخذ مأوى للزائد من سكان أوروبا، أو للحصول على اليد العاملة الرخيصة للعمل في مصانعها، ونظرا لهذه المميزات كلها، طلب رجال الأعمال الألمان من حكومتهم الحصول على بعض المستعمرات، وبما أنه تعذر إيجاد مستعمرات جديدة، إذ أن بريطانيا وفرنسا، قد استولتا على معظم المستعمرات، فإن ألمانيا لم تجد إلا طريق الحرب، لتصل بها إلى تحقيق أطماعها العسكرية، و تأثرت العلاقات الدولية خلال هذه الفترة بحادثين هامين و هما :

1- قيام الامبراطورية الألمانية

توحدت الدويلات الألمانية ، و تألفت الامبراطورية الألمانية بعد انتصار بروسيا على دولتين كبيرتين هما النمسا و فرنسا و بعد تأييد روسيا التي وجدت في المشاكل الناجمة عن ظهور الدولة الألمانية الجديدة و هزيمة النمسا و فرنسا أفضل وسيلة للتخلص من قيود المعاهدات التي فرضتها بريطانيا و فرنسا و النمسا عليها ، و للعودة الى إليها و سياسة التوسع في البلقان مستغلة غياب النمسا و فرنسا ، و تأييد ألمانيا لها ، و تغاضي بريطانيا ، لأنها كانت تجد في قيام دولة ألمانية قوية في وسط أوروبا حاجزا أمام روسيا و مهددا لأطماع فرنسا ، منافستيها الخطيرتين ، و قد ظلت بريطانيا تجني ثمار هذا الموقف حتى أواخر القرن التاسع عشر .

2- التوسع الاستعماري

إن الاندفاع الخطير نحو التوسع الاستعماري كانت له أسباب أهمها :

- التوسع الصناعي : فقد توسعت وسائل الانتاج و استدعى ذلك وجود أسواق لتصريف الانتاج الصناعي و للحصول على المواد الأولية ، و رافق ذلك قيام تنافس صناعي شديد بين الدول و بروز قوة الصناعة الألمانية و الأمريكية

كمنافس خطير على الدول الصناعية القديمة ، مما دفع الدول الأوروبية نحو سياسة الحماية الاقتصادية ، و سرعان ما أصبحت أوروبا أسواق شبه مغلقة ، فتعرضت لأزمة اقتصادية كان لها أثر كبير في البحث عن الأسواق ، و بسبب تلك المنافسة و سياسة الحماية كانت أفضل الأسواق هي المستعمرات .

- تضخم رؤوس الأموال ، و انخفاض سعر الفائدة في أوروبا مما دفع الرأسماليين إلى استثمار أموالهم في البلاد المتخلفة .
- ازدياد السكان في بعض الدول و خاصة ألمانيا و ايطاليا و للتخفيف من هذه الأزمة السكانية ، وجدت هذه الدول أن في امكانها في الاستفادة من تهجير الفائدة من السكان الى المناطق المتخلفة و السيطرة عليها .

و خلال تسابق المستعمرات ، قامت أزمة دولية أوشكت أن تؤدي الى الحرب كما حصل في البلقان و مصر و المغرب و الشرق الأقصى ، و كانت أسبق الدول الى التوسع بريطانيا و فرنسا و روسيا ، و قد اشتد العداء بين هذه الدول و أصبح إيجاد حلفاء أقوياء وسيلة للتغلب على الأعداء ، و قد استغلت ألمانيا هذه المنافسات و حاجة المتنافسين إليها لتوطيد نفوذها في القارة و كانت معظم الدول الأوروبية - ماعدا فرنسا - ترتبط مع ألمانيا بأحلاف و اتفاقات بصورة مباشرة و غير مباشرة .

...ويدرك القارئ من بحث العلاقات الدولية، ومن سير الحوادث، إن أوروبا كانت تسير في طريق الحرب، وأن أية أزمة بين ألمانيا وفرنسا، أو بين النمسا وروسيا، وأن أي خلاف على التوسع الاستعماري في إفريقيا وآسيا بين الدول الكبرى، سيؤدي إلى الحرب، فقد انقسمت أوروبا إلى معسكرين متنازعين، حتى أصبح اشتباك دول أوروبا في حرب مقبلة أمرا حتميا، فيما وقعت بين دولتين من المعسكرين المتعاديين، وهذه هي أهم الأسباب الأساسية للحرب:

1- الاستعمار والتنافس بين الدول الاستعمارية.

2- نمو روح القومية عند الشعوب.

مكتبة الفتح / عند عاشور

3- نظام التحالفات السرية.

4- التسابق على التسلح ونمو روح العسكرية.

الروح العسكرية والتسابق نحو التسلح

اهتمت كل دولة في أوروبا اهتماما زائدا بتكوين جيش قوي لها، ليكون قادرا على ردّ الخطر الذي يهددها، فأصبحت الخدمة العسكرية إجبارية في ألمانيا، ثم انتقلت إلى غيرها من الدول الأوروبية، وتنافست الدول على صناعة الأسلحة الأكثر فتكا وتدميرا، وأصبح لألمانيا وحدها جيش يقدر بثلاثة ملايين جندي، دُرّبوا أحسن تدريب، وسلحوا بأحسن الأسلحة، وازداد السباق نحو التسلح باشتداد العداء وتصادم المصالح، فألمانيا وفرنسا على خلاف يخص حدودهما، وبريطانيا تتنافسان في التجارة والتسلح البحري، وروسيا تمنع النمسا من الاستيلاء على البلقان، وتريد الاستيلاء على مضيق البوسفور والدردنيل، وتركيا تسد في وجهها هذين المنفذين.[1]

وهكذا لم يساعد الجو المفعم بالحذر والشكوك على تجنيد طاقة كل دولة بما لها من شباب وعلماء نحو التسلح فقط، وما يتبع ذلك من خوف وحقد وجوسسة، بل ساعد ذلك على تكوين طبقة من كبار الضباط والعسكريين والبحارة، الذين أخذوا يتسلطون على رجال الإدارة والسياسة، كلما اشتدت الأزمة السياسية، وكانت نظرية الهجوم هي السائدة عند العسكريين في هذه الفترة، أي مباغتة العدو بمهاجمته، وما يزال الوضع ينتقل من حالة السلم إلى حالة الحرب .

السبب المباشر للحرب

إن حصول النمسا على البوسنة والهرسك عام 1908، أضرم نار البغضاء بين النمساويين والصرب، ففي 28 جوان 1914 أطلق الطالب "غفريلو برنسيب" الرصاص على الأرشيدوق "فرنتز فرديناند" وريث العرش النمساوي، في مدينة سارايفو، عاصمة

(1) الحرب العالمية الأولى، عرض وصور، خيري حماد، دار الملايين، الطبعة الرابعة، بيروت، لبنان، 1973، ص15-28.

البوسنة، بينما كان يقوم بزيارة رسمية لتلك الولاية، فأرداه قتيلا هو وزوجته، فأثار مقتله عوامل الاستياء في النمسا، لأن جمعية (اليد السوداء) الصربية، اتهمت بتدبير الحادث، وأخذت الصحف النمساوية تهاجم مملكة الصرب، وتحمّلها مسؤولية السكوت عن الجمعية في بلادها، فأرسلت النمسا إنذارا قاسيا إلى دولة الصرب، ضم عشر مواد، منها حل الجمعيات، وإغلاق الصحف المعادية للنمسا، ومراقبة المدارس، كيلا ينشر المعلمون كره النمساويين بين طلابهم، وفصل الموظفين، والقادة المعروفين بعدائهم للنمسا، ومع ذلك، فقد قبلت صربيا سبعة مطالب وطلبت تحكيم الدول، ويظهر أن هذا الإنذار قُصد منه أن يقابل بالرفض، لأنه انطوى على تقويض استقلال الصرب، فيؤدي رفضه إلى قيام الحرب.

وقفت برلين خلف فيينا، تشد أزرها، وأنذرت البواخر الألمانية باحتمال نشوب الحرب، وأبلغت باريس ولندن إلى أن أي تدخل من جانبها، ستتبعه عواقب لا حصر لها، وجال في الإعلام، أن النمسا وألمانيا، تريدان أن تتخذا من حادثة الاغتيال، ذريعة لسلب صربيا استقلالها، وللهجوم على روسيا وفرنسا، وبينما كانت المفاوضات تدور بين العواصم الكبرى، انقطعت المحادثات بين فيينا وبلغاريا، وأعلنت النمسا الحرب على صربيا في 30 جويلية 1914، وأعلنت ألمانيا عن تأييدها لحليفتها النمسا في جميع إجراءاتها، وأرسلت إنذارين إلى روسيا وفرنسا، تطلب إليهما إيقاف التعبئة العامة، ثم أعلنت الحرب في أول أوت على روسيا وفي 3 أوت على فرنسا، وفي 2 أوت أعلنت بريطانيا عن تعهدها للدفاع عن سواحل بحر المانش، ولما اخترق الألمان بلجيكا في طريقهم إلى فرنسا، أعلنت بريطانيا الحرب إلى جانب حليفتها فرنسا في 4 أوت، مدعية أنها تقدمت لإنقاذ احتلال الدول المتعهدة بحياد بلجيكا، وهكذا في أسبوع واحد وقفت دول التحالف الثلاثي أمام الوفاق الثلاثي (المحور) ثم تتابع اشتراك الدول فيها بحيث بلغت 23 دولة إلى جانب الحلفاء من بينها الصين واليونان ورومانيا والولايات المتحدة الأمريكية، ودخلت تركيا وبلغاريا إلى جانب الألمان.

اشتراك الدول في الحرب

1- حاول كل فريق متحارب أن يجر إلى صفه أكبر عدد ممكن من الدول.
2- انضمت تركيا إلى ألمانيا، لأن الأتراك وثقوا بقدرة ألمانيا العسكرية، واعتقدوا أنها ستنتصر على روسيا عدوتهم التقليدية، ورأوا أن بلادهم ستنجر إلى الحرب لا محالة، لأن الحلفاء، لن يحافظوا على الاتفاقات الدولية بشأن المضايق، بل لا بد لهم من اجتيازها، ليتم الاتصال بين بريطانيا وروسيا.(2)
3- انضمت بلغاريا إلى ألمانيا لتنتقم من دول البلقان، التي انتصرت عليها في حرب البلقان الثانية.
4- أعلنت الصين الحرب على ألمانيا، لتخليص مستعمراتها في المحيط الهادي.
5- وقفت إيطاليا على الحياد أول الأمر، بحجة مصاعبها المالية الناجمة من الحرب في ليبيا، فلما قدم لها الحلفاء المال، ووعدوها بالبترول انضمت إليهم.
6- انضمت اليونان إلى الحلفاء لتأخذ نصيبها من أملاك تركيا.

انضمت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحلفاء، لارتباط مصالحها الاقتصادية بهم، ونشطت الغواصات الألمانية في ضرب الأسطول البريطاني، احتجت الولايات المتحدة، بأن الألمان أغرقوا الباخرة "لوزيتانيا" وأنهم يتهيؤون لمهاجمة مرافئ الولايات المتحدة التي تشحن الأسلحة والمواد الغذائية والألبسة للحلفاء، وأعلنت الحرب في 6 أوت على ألمانيا... واستمرت الحرب، حيث احتلت ألمانيا بلجيكا خلال أسبوعين بعد مقاومة عنيفة ودخلت الأراضي الفرنسية، وتقدم الجيش الألماني نحو باريس، وحصلت معركة المارن، التي أجبرت الألمان على التراجع وإيقاف تقدمهم صوب المانش، وصمد الانجليز والفرنسيون أمام الألمان، وانتقل القتال إلى الخنادق... وهكذا استمرت الحرب المدمرة.

(1) المرجع السابق، هستيريا الحرب، ص32-52.

العرب والأتراك خلال الحرب العالمية الأولى

...في خضم مستجدات الحرب، رأى العرب بضرورة تأييد تركيا، فحلت معظم الجمعيات السياسية نفسها، ليعمل أفرادها متضامنين إلى جانب الدولة العثمانية، وقد اتخذ العرب هذا الموقف من الأتراك بسبب:

1- تخوفهم من أطماع الدولة الاستعمارية.
2- تضامنهم الديني مع الأتراك.
3- أملا في أن يغيّر الأتراك سياستهم نحو العرب، وشعر الأتراك من جهتهم بضرورة كسب العرب إلى جانبهم خلال الحرب، فتظاهروا بالتساهل معهم قبل انضمامهم إلى الألمان، فقلدوا عددا من الضباط مناصب عالية في الدولة، أعلنوا أنهم: "سيعملون مع العرب يدا واحدة للدفاع عن كيان الدولة المشتركة".

بعد دخول تركيا الحرب، ثم تعيين جمال باشا حاكما عاما على سوريا وفلسطين والحجاز، وقائدا للجيش الرابع، وكلف بإعداد حملة عسكرية تزحف إلى مصر، وقد تقرب من العرب لأسباب منها:

1- تهدئة السكان في حالة الحرب.
2- كسب ودهم للمحافظة على مؤخرة جيوشه أثناء الهجوم على قناة السويس.
3- ليتعرف على خفايا نوايا الزعماء العرب وحقيقتهم.

وكان الألمان، قد علقوا أهمية كبرى على احتلال مصر، ووضع يدهم على قناة السويس، فأعد جمال باشا، حملة لدخول مصر عن طريق سيناء، وكان يأمل أن تقوم الثورة في مصر، لأن بريطانيا، قد ألغت السيادة التركية الرسمية على مصر، وأعلنت حمايتها عليها، ولكن الجيش الرابع، لم يصمد أمام القوات البريطانية، فتراجع، وأخفقت الحملة، وادعى أنه لم يقصد بالحملة احتلال مصر، وإنما القيام بحملة استكشافية لا غير.

مكتبة افتح يا عدو عاشور

في هذه الأثناء أمر جمال باشا بمداهمة السفارتين البريطانية والفرنسية في دمشق وبيروت، وحصل من السفارتين على وثائق سياسية هامة فيها أسماء الزعماء العرب، الذين اتصلوا بفرنسا للعمل في سبيل الاستقلال عن الدولة العثمانية، ولم يباشر إلى اعتقال أحد منهم، حتى أنسوا للأتراك، ولكن بعد إخفاق حملة السويس غير سياسته التي كانت غير متوقعة للزعماء العرب.

اهتمام الحلفاء بالعرب

إن أطماع الحلفاء في البلاد العربية قديمة، فقد احتلوا قسما منها قبل الحرب العالمية الأولى بفترة طويلة خاصة في شمال إفريقيا، وتركزت مصالحهم وامتيازاتهم في بلاد الشام والعراق، وانتظروا ذلك اليوم، الذي يحولون مناطق النفوذ إلى مناطق احتلال.[3]

وبعد دخول تركيا الحرب، ازداد اهتمام الحلفاء بالبلاد العربية، لأن بقاء العرب إلى جانب الأتراك يهدد المصالح الانجليزية في قناة السويس والخليج العربي، وكان على العرب أن يتخذوا أحد الموقفين:

1- الوقوف إلى جانب الأتراك، وبذلك يجازفون بمستقبلهم، ويفوتون على أنفسهم تحقيق أمانيهم في الاستقلال.
2- التعاون مع الحلفاء بشروط، إن لم تؤد إلى الاستقلال التام، فهي لن تؤدي إلى تحطيم كيانهم.

(*) بقيت مكة تابعة للدولة الأموية ثم العباسية حتى قيام الخلافة الفاطمية في مصر، فاستقلت وتولى الشريف الحسين بن علي إدارتها، ولما استولت تركيا على مصر، قدم الشريف طاعتها لها، وبقيت مكة خاضعة رسميا للأتراك وفي عام 1908 أصبح الشريف الحسين بن علي أميرا على مكة.

وكان بإمكانهم، ترجيح الموقف الأول، وخاصة بعدما لمسوه من تفاقم الأطماع الأوروبية في بلادهم، ولكنهم رجحوا الموقف الثاني، ليأسهم من التعاون مع الأتراك، بعد الذي حصل في الشام، والوعود التي قطعها الحلفاء للزعماء العرب، وحينئذ قرروا حمل السلاح، وإعلان الثورة على الأتراك، واختيرت مكة قاعدة لها ومنطلقا لأسباب عديدة أهمها:

كون مكة(*) المكان الأصلح لتحمل أعباء الثورة على الأتراك لبعدها عن الأناضول، ولمكانتها الخاصة عند العرب والمسلمين، ومن الناحية العسكرية، إن الحجاز ذي الأهمية الحربية بالنسبة للجزيرة العربية والبحر الأحمر.

ولما كانت بريطانيا حريصة على اجتذاب العرب إلى جانبها، فقد دخلت في مفاوضات سرية مع الشريف الحسين، الذي كان بينه وبين الدولة العثمانية جفاء، والذي كان تراوده هو وأبناؤه آمال إنشاء دولة عربية كبرى.

وأرسل الشريف الحسين مذكرته الأولى عام 1915 إلى هنري مكماهون، المندوب السامي البريطاني في مصر والسودان، أوضح فيها ما يشترطه العرب لدخول الحرب إلى جانب بريطانيا، وتم تبادل الرسائل بين الطرفين حتى نهاية العام، وقد أبدى مكماهون في ردوده بضع تحفظات على حدود الدولة العربية في المستقبل.

وانتهت المراسلات بتسليم انجلترا باستقلال العرب، وموافقة الحسين بن علي على أن تلك التحفظات يمكن أن يتفق عليها بعد الحرب، ووعدت بريطانيا العرب بالاستقلال، وتوحيد أراضيهم، وذلك مقابل قيامهم بثورة ضد تركيا وتسخير كل قواتهم ومواردهم في سبيل النصر على ألمانيا وحلفائها.

موقف الانجليز من الثورة العربية

حصر الانجليز اتصالهم بزعماء الحركة الوطنية، الذين يتكونون من ضباط الجيش، والمثقفين وأصحاب النفوذ الواسع من الأغنياء، إذ بدأ الانجليز يجسون نبض الجمعيات العربية، وأعضائها، في أواخر عام 1914 بواسطة خبرائهم بالشؤون العربية، فأصر

المفاوضون العرب، على أن تتعهد الحكومة البريطانية رسميا بأن لا مطمع لها في أي قطر عربي، وأنها لا تمانع في استقلال العرب واتحادهم، إذا ما وقف العرب إلى جانبها في الحرب، وكان الضابط عزيز علي المصري، أكثرهم وعيا وصلابة، لأنه خشي أن يؤدي التسرع في محالفة الانجليز، والثورة على الأتراك، إلى إيجاد فراغ يسده الانجليز، قبل أن يسده الثوار العرب.

وفي غمرة هذه الأحداث الصعبة المتسارعة، التقت المصالح العربية والمصالح الانجليزية على أرض الثورة، فاستغل الانجليز، هذه التطورات، ووضعوا الحركة العربية أمام الأمر الواقع، وأعلنوا أن الثورة، ستقوم في ظل المعونة الانجليزية وستنطلق من الحجاز.

في 10 جوان 1916 أطلق الشريف الحسين من قصره في مكة، الرصاصة الأولى نحو ثكنة تركية، إنذارا بإعلان الثورة العربية، ونشر منشورا ضمّنه الأسباب التي دعت إلى قيام الثورة، ووصفها بأنها واجب ديني وفرصة هيأت الحرب لتحقيق الاستقلال، وتكوين دولة عربية موحدة.

وبعد نجاح الثورة في الحجاز، تابعت القوات العربية زحفها إلى الشمال، فاشتبكت مع القوات التركية في سواحل الحجاز الشمالية، وكان الانجليزي "لورانس" وهو ضابط يساعد الأمير فيصل ابن الأمير الحسين بن علي، الذي تولى قيادة الثورة العربية، وقد تم تدمير سكة حديد الحجاز أثناء زحفهم، ونسفوا الجسور ليحولوا دون إرسال الإمدادات التركية، وواصلت الجيوش العربية تقدمها شمالا، وأوقفت التوسع الألماني المتجه نحو الجنوب، وأعلن الحسين نفسه ملكا على العرب.[4]

وقد أفاد نجاح الثورة الحلفاء، وأضعف معنويات الأتراك في البلاد العربية، وقد وضع الانجليز خطة عسكرية، تقضي بأن يتوجه جيش الثورة العربية إلى محورين: المحور الأول، بأن يتابع الجيش الانجليزي الزحف على فلسطين، والمحور الثاني، أن يتابع

(1) مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية، الصراع العربي الإسرائيلي، عبد الرزاق الدردري، القاهرة، 1982، ص315-337.

الجيش العربي الزحف إلى سوريا، وذلك تهيئة للانجليز إلى دخول فلسطين بقواتهم وإبعاد الجيش العربي عن تحريرها من الأتراك تمهيدا للانتداب[5]عليها.

النتائج العامة للحرب

1- اشتراك في الحرب حوالي 60 مليون جندي ثلثاهم للحلفاء، قتل فيها حوالي 25 مليونا.
2- كانت الخسائر الاقتصادية فادحة، فعقدت الدول القروض، وتراكمت عليها الديون، وقد انصب الدمار على أوروبا بالدرجة الأولى، واستفادت من الحرب دولتان هما الولايات المتحدة واليابان، فتضخمت الصناعة اليابانية، والرأسمالية الأمريكية خلال الحرب وما بعدها.
3- اختفت الإمبراطوريات القديمة في وسط أوروبا وشرقها، وحلت محلها أنظمة جديدة في الحكم، كالفاشية والنازية والشيوعية.
4- تقاسمت الدول الغالبة مستعمرات الدول المغلوبة واستغلت مناطقها الغنية.
5- قيام الثورة الشيوعية، فانسحبت روسيا من الحرب، مما عجل بدخول الولايات المتحدة للحرب وبإمداد الحلفاء بالسلاح والجنود والمال والغذاء فرجحت كفتهم.
6- تقدمت الصناعات والاختراعات، واستحكم الغلاء في بعض الدول.
7- تعدل الوضع الطبقي في المجتمع، فبرزت طبقة العمال (البروليتريا) وتوصلت إلى الحكم.
8- ساهمت المرأة في الحرب، وحصلت على حقوقها السياسية.

مؤتمر الصلح ومعاهدة فرساي

عقد مؤتمر الصلح في باريس، وأقر معاهدة فرساي (1919) التي نصت على تأسيس عصبة الأمم، وتقليص حدود ألمانيا والقضاء على قوتها العسكرية وتجريدها من

(2) الانتداب: تعبير مهذب للاستعمار، ظهر في أعقاب الحرب العالمية الأولى وقد شمل الأقطار التي كانت خاضعة لتركيا وألمانيا المهزومتين.

مستعمراتها، وإلزامها بدفع غرامة حربية كبيرة تعويضا لخسائر الحلفاء في الحرب باعتبارها مسؤولة عن الحرب، وهذه البنود:

1- إعادة الألزاس واللورين إلى فرنسا.
2- فصلت عن فرنسا بعض المقاطعات، وأعطيت إلى الدول المجاورة كبولندا وبلجيكا.
3- فقدت ألمانيا جميع مستعمراتها، وتقاسمتها فرنسا وبريطانيا واليابان.
4- ألغي التجنيد الإجباري في ألمانيا، وحدد جيشها بـ 100 ألف جندي، وفقدت أسطولها الحربي وجزء من أسطولها التجاري.

وهناك معاهدات أخرى، تمت التسوية فيها مع الحلفاء منها معاهدة "سيفر" مع تركيا عام 1920، التي فصلت عنها جميع أملاكها، بحيث لم يبق لها سوى آسيا الصغرى، والقسطنطينية، وأصبحت المضايق تحت رقابة دولية، وتخلت عن أرمينيا وأزمير وجميع البلاد العربية، وغيرها من ممتلكاتها.

تآمر الحلفاء على الثورة العربية

بدأ الحلفاء يوزعون أملاك تركيا، قبل أن تنهار وتنتهي الحرب، تنفيذا لما جاء في المادة 22 من ميثاق عصبة الأمم ما يلي: "إن المستعمرات والبلدان التي قضت نتائج الحرب الأخيرة بخروجها عن سلطة الدولة التي كانت تسيطر عليها في الماضي، والتي تسكنها شعوب لا تزال غير قادرة على الوقوف منفردة، يجب أن يطبق عليها المبدأ بوضع سعادة شعوبها وتقدمها وديعة مقدسة في يد العالم المتمدن، والطريقة المثلى لتطبيق هذا المبدأ عمليا، هو أن يعهد بالوصاية على هذه الشعوب إلى الدول الراقية".

وخلال الحرب كثر الكلام عن حريات الشعوب وحقها في تقرير مصيرها واستقلالها، وبالرغم من أن انكلترا تعاهدت مع العرب على منحهم الحرية والاستقلال مقابل مساعدتهم لها، نجدها تعقد الاجتماعات السرية مع حليفتها لاقتسام أملاك الدولة العثمانية بما فيها البلاد العربية.

مكتبة أفق (عند عاشور)

ففي سنة 1916 اجتمع المندوب الفرنسي "جورج بيكو" مع المندوب البريطاني "مارك سايكس" وأعدا مشروعا لتحديد الأجزاء العثمانية التي تدخل ضمن أطماع الدولتين، حيث أوعز إليهما أن يتوجها إلى بطرسبورغ "لينينغراد"، للاتفاق مع روسيا على الأجزاء التي تريدها، وانتهت المباحثات لإعداد مشروع مذكرات ثلاث، حددت كل دولة في مذكرتها منطقة نفوذها، وبموجب هذا الاتفاق، رغبت روسيا في الحصول على القسطنطينية، والأراضي الواقعة حول مضيق البوسفور، وجزء كبير من جوار الحدود الرسمية.

كما قسمت بلاد الشام والعراق إلى خمس مناطق، ثلاثة منها ساحلية واثنتين داخليتين، وأما المنطقتان الداخليتان، فقد تركتا بلا ألوان، وعرفتا باسم منطقة "أ" ومنطقة "ب" وشملت المنطقة الزرقاء ساحل بلاد الشام، وجزء كبير من شمال الأناضول، ومنطقة الموصل بالعراق تركت لفرنسا، وشملت المنطقة الحمراء جنوب العراق إلى شمال بغداد، وتركت لانجلترا وانحصرت المنطقة السمراء في فلسطين.

وهكذا كانت اتفاقية سايكس-بيكو وثيقة مروعة، فليست هي وليدة الجشع في أسوأ صوره فحسب، بل هي أيضا صورة مرعبة للمخادعة، والغدر، والمكر، ونكث العهود، ولم يعلم الشريف الحسين وزعماء العرب، بهذا الاتفاق إلا في أواخر سنة 1917، عندما قامت الثورة الشيوعية في روسيا، إذ نشرت حكومة الثورة، جميع المعاهدات السرية ومنها هذا الاتفاق.

فسارعت تركيا بإرسال نصه إلى الشريف الحسين، وعرضت عليه الرجوع والوقوف بجانبها، مقابل إعطاء العرب، أكبر قسط من الحكم الذاتي، واضطرب الحسين لهذا النبأ، وطلب من المندوب السامي البريطاني تفسيرا لهذا الموقف، فادعت انكلترا أن تلك الوثيقة ليست اتفاقا نهائيا، وأنها لا تزال عند وعدها للعرب، وأقنع الحسين نفسه بشرف وعد بريطانيا، واستمرت العرب على تأييدهم لبريطانيا وحلفائها ضد الدولة العثمانية، ولم يقف غدر بريطانيا للعرب عند هذا الحد، فإنها في سنة 1917 تعهدت لزعماء الصهاينة بأن تساهم في إقامة وطن قومي لهم في فلسطين.

رغم اكتشاف الحقيقة في مؤتمر الصلح المنعقد في باريس، ظل فيصل يمني نفسه خيرا في هذا المؤتمر، فانتقل في يناير (جانفي) سنة 1919م، إلى باريس على رأس الوفد العربي للمشاركة في هذا المؤتمر، ولما عرضت القضية العربية، طالب فيها فيصل بالاعتراف بالسيادة والاستقلال للبلاد العربية، كما اقترح فيصل، التأكد من رغبات السكان في تلك الجهات، إلا أن بريطانيا وفرنسا واصلتا تدبير مؤتمراتهما لسلب العرب حريتهم، وأخذتا تخططان، لاقتسام الشام والعراق.

وصلت أخبار المؤامرة إلى الشام، وفيصل ولا يزال في باريس، وكان الفرنسيون قد أنزلوا العلم العربي في لبنان، ومهدوا للسيطرة عليه، وأدرك الشعب في الشام نوايا الفرنسيين، وأيقن أن إخراجهم لن يتم بالسياسة، في هذه الأثناء، انعقد المؤتمر السوري في 07 مارس 1920، وقرر إعلان استقلال الشام (سوريا ولبنان وفلسطين والأردن) في دولة ذات سيادة وملكية دستورية على رأسها الأمير فيصل.

عندئذ، أسرع مجلس الحلفاء الأعلى، إلى الانعقاد في سان ريمو بإيطاليا، وقرر في 25 أفريل 1920 ما يلي:

- وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي.

- وضع العراق تحت الانتداب الانجليزي.

- وضع فلسطين وشرقي الأردن تحت الانتداب الانجليزي مع الالتزام بتنفيذ وعد بلفور الذي أصبح ينفذ جهازا، وأنه (في اليوم الثاني من شهر نوفمبر 1917، أصدرت الحكومة البريطانية وعد بلفور بصفة رسالة موجهة من المستر "بلفور" الذي كان عندئذ وزيرا للخارجية في الحكومة البريطانية، إلى اللورد "روتشيلد" الصهيوني، وفيما يلي نص من هذه الرسالة: يسرني جدا، أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك التصريح التالي، الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود الصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرته).[6]

(1) مرجع سابق، الحرب العالمية، د.صلاح العقاد، الفصل الرابع، استغلال الصهيونية للحرب، ص123-142.

إرهاصات الانتداب الانجليزي على فلسطين

و القضية الفلسطينية

1- في 1798 وجّه فرنسي يهودي كتابا إلى أبناء دينه من اليهود ، ناشدهم فيه أن يؤلفوا مجلسا أعلى في باريس، يمثل فروع الطائفة اليهودية في العالم على أن يرفع هذا المجلس طلبا إلى الحكومة الفرنسية بإعادة اليهود إلى سماء وطنهم، و قد وصف ذلك الوطن بما يلي : (و هذا القطر، الذي نريد أن نحتله، يشمل مصر السفلى، و يمتد شرقا إلى الجهات المتاخمة، و ينتهي بخط يمتد من عكا إلى البحر الميت، وموقع هذا القطر، انفع المواقع في العالم ، و سيمكننا من السيطرة على ملاحة البحر الأحمر، و على تجارة الهند و بلاد العرب، و افريقية الشرقية و الجنوبية ، و كذلك سيسهّل لنا تجارة إيران و آسيا لقربه من دمشق و حلب ، كما يسهل الاتصال عبر البحر الأبيض المتوسط بالبلاد الأوربية ، و هكذا تكون بلادنا بفضل موقعها الممتاز في قلب العام، المستودع الأكبر للمنتجات العالمية الثمينة).

2- و في عام 1837 زار" مونتفيوري" فلسطين، و فكر في إنشاء مستعمرات زراعية فيها، و قابل محمد علي باشا، و حاول الاتصال بالباب العالي دون جدوى. و حتى ذلك الوقت، لم تكن القومية اليهودية أكثر من خاطرة جالت في أذهان بعض اليهود، و لكن نجاح القوميات الإيطالية و الألمانية و البلقانية، و اضطهاد اليهود في أوربا و لاسيما في روسيا و هجرتهم منها، كان من العوامل الأساسية، التي دفعت اليهود إلى البحث في موضوع قوميتهم.

3- و في عام 1882 نشر اليهودي الروسي "نيوبنسكر" كتاب "التحرير الذاتي" و خلاصته، أن اليهود ليسوا طائفة دينية فحسب، و لكنهم أمة ، لا يمكن تحريرهم السياسي و المدني إلا بخلق قومية، و إعطائهم بلادا خاصة بهم، و لكنه لم يعين تلك البلاد.

مكتبة آفاق عاشور

4- و في عام 1891 نشر "هرتزل" (أبو الصهيونية) كتابه "الدولة اليهودية" شرح فيه أسس الدولة اليهودية المقبلة، و في المؤتمر الصهيوني الأول، أعطى المؤتمرون لحركتهم إسم الصهيونية و جعلوا هدفها، إيجاد وطن قومي لليهود في فلسطين.

5- كان ضعف العثمانيين، يزيد في أمل المتطلعين إلى فلسطين، و لكن المساعي أخفقت مع السلطان عبد الحميد فعرض وزير المستعمرات البريطاني على المؤتمر الصهيوني 1905 إعطاء اليهود إحدى المستعمرات الواسعة في شرقي إفريقيا، فرفض عرضه.

6- تمثّلت الحركة اليهودية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بتيارين :

الأول- تيار ديني ثقافي ، هدفه أن يمارس اليهود شعائرهم بحرية تامة في فلسطين، و أن ينشروا لغتهم العبرية و مؤسساتهم الثقافية من دون أن يتمتعوا بأية ميزة سياسية أو استقلالية .

الثاني- تيار سياسي استعماري، هدفه إنشاء دولة، يحشد فيها المهاجرون من أنحاء العالم، و تجمع لها الأموال من أغنياء اليهود و بذلك تعاظم أمر هذا التيار حتى للصهيونية هيئات في معظم الدول الأوربية و تأسس "المؤتمر الصهيوني العام" الذي عقد اجتماعه الأول في مدينة "بال" السويسرية 1897.

7- و حتى المجلس اليهودي في الولايات المتحدة، كان معارضا لإنشاء الدولة اليهودية، و لوجود قومية يهودية، و في بريطانيا صدر بيان بتوقيع مجلس نواب اليهود الإنجليز، و رئيس الجمعية الإنجليزية، يحتج على فكرة الصهيونية السياسية لأن إنشاء قومية يهودية في فلسطين، لابد من أن يعتبر اليهود غرباء في أوطانهم لدى العالم كله، و يقوض مركزهم، من حيث هم مواطنون في تلك الأوطان.

نشاط الصهيونية خلال الحرب : وعد بلفور

برز في هذه الفترة "حاييم وايزمن " مؤسس الصهيونية العالمية"، و كون جمعية، تتكلم باسم يهود العالم و برنامجها مزدوج، يعني: تنظيم الدعاية الصهيونية و تحضير المنهاج

مكتبة الفتح لعذ عاشور

العملي لاستعمار فلسطين، و اتصل الصهاينة بالدول المتحاربة مستغلين نقاط ضعف عند كل دولة، فأغروا تركيا بالمال لتخفيف ضائقتها الاقتصادية، ووعدوها بأن يكونوا لها عونا على العرب، ليقضوا على خطر القومية العربية الناشئة، و نقلوا مكاتبهم إلى عواصم الدول المحايدة، ولاسيما نيويورك، لأن فيها كثيرا من اليهود بينهم، عدد كبير من كبار رجال الدولة وأصحاب الأعمال، وجعلوا لندن مركزا للمفاوضات الصهيونية - الإنجليزية .

لم يؤيد الصهيونية قبل عام 1917 أيا من الفريقين المتحاربين، لأن الغلبة لم تكن واضحة لأي منهما، و كان الصهاينة يفاوضون الأتراك و الألمان و الإنجليز و حلفائهم في آن واحد، و كان كل من الفريقين يسابق الآخر على خطب و دّهم، لما لهم من قوة مادية و أدبية كبيرة في العالم.

و قد التقت أهداف الصهيونية بالأطماع الإنجليزية، و مخططاتها في الشرق العربي مما أسفر عن تصريح اللورد بلفور و زير خارجية بريطانيا و أقرت بريطانيا المشروع، الذي وضعته القيادة الإنجليزية العليا في مصر، و القاضي بضم فلسطين إلى المملكة البريطانية ، و بالرغم من استعداد بريطانيا لتحقيق رغبات الصهاينة، فقد أخذت تساومهم لتكسبهم إلى جانبها في الحرب، فراحت تذكر لهم المصاعب، التي قد تقف في وجههم ليرتموا في أحضانها و لتستخدمهم في الضغط على الولايات المتحدة للدخول في الحرب، لتلغي تدويل فلسطين في آن واحد، و كان على اليهود، أن يذللوا العقبات الأخيرة ،و هي معارضة يهود فرنسا و بريطانيا و الفاتيكان و إلغاء تدويل القدس (حسب اتفاقيات سايكس بيكو) فنجحوا في تذليل تلك العقبات و صدر وعد بلفور قبل سقوط القدس بيد الحلفاء بعدة أيام.

و مهما يكن من أمر، فقد كان هناك عاملان رئيسيان دفعا بريطانيا إلى إصدار وعد بلفور : **أولهما:** سياسي، و هو أن تكسب الصهاينة إلى جانبها، ولاسيما الصهيونية القوية في ألمانيا و النمسا، التي كانت تفاوض ألمانيا لتحصل على "وعد تركي" مشابه لوعد بلفور فأرادت بريطانيا صرف نشاط تلك العناصر الصهيونية لصالح الحلفاء، و تخفف في نفس الوقت من عداء اليهود القاطنين في بلاد الحلفاء نحو روسيا، و تشجع اليهود في روسيا

على الاستمرار في الحرب ، أما العامل الثاني فاستعماري و هو الحصول على فلسطين، و جعلها درعا يحمي مركز الإنجليز في مصر.

و في نوفمبر 1917 صدر وعد بلفور، و رضي الصهاينة على النص، الذي صيغ بالعبارة التالية : (إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين . و ستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية و الدينية، التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا حقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى)، إنّ هذا التصريح يناقض وعود الحلفاء للعرب و حقوق العرب في فلسطين أما العبارة الأخيرة الواردة فيه فالغاية منها ألا يسبب إحراجا لليهود، في العالم والملاحظ أن هذا الوعد، لا يعني إقامة الدولة اليهودية ،كما حاولت الصهيونية تفسيره وتطبيقه فيما بعد.

و بعدها اعترف صك الانتداب الإنجليزي على فلسطين بوعد بلفور، فقد نصت المادة الثانية منه على ما يلي: تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في الأحوال سياسية و الإدارية والاقتصادية و تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي و اعترف صك الانتداب أيضا بمشروعية الوكالة اليهودية، كي تتدخّل في إدارة فلسطين، فالمادة الرابعة في الصك ، تقول:" يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عامة لإسداء المشورة إلى إدارة فلسطين، والتعاون معها في الشؤون الاقتصادية و الاجتماعية و غير ذلك من الأمور التي قد تؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي، و مصالح السكان اليهود في فلسطين، وتساعد وتشترك في ترقية البلاد ، على أن يكون ذلك خاضعا دوما لمراقبة الإدارة ,

وجعل صك الانتداب العبرية الرسمية في بلد يتجاوز فيه عدد اليهود (7%) من السكان، فقد نصت المادة (24) من الصك على ما يلي:" تكون الإنجليزية و العربية و العبرية، اللغات الرسمية لفلسطين، و كل عبارة أو كتابة بالعربية و ردت على طوابع أو عملة تستعمل في فلسطين يجب أن تكرر بالعبرية، و كل عبارة أو كتابة بالعبرية يجب أن تكرر بالعربية.

المصالح الاستعمارية في وعد بلفور

هناك مصالح استعمارية دفعت بريطانيا إلى إصدار وعد بلفور، هذه أهمها :

1- حرص بريطانيا على استمالة يهود ألمانيا و النمسا، لأنها كانت في حالة حرب مع هاتين الدولتين، و حصولهما على تأييد الولايات المتحدة بمالهم من نفوذ كبير هناك، لأنهم يستطيعون أن يؤثروا في دخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء .

2- حصول بريطانيا على مساعدات مالية من يهود العالم لمواصلة حربها ضد ألمانيا.

3- جعل فلسطين المتاخمة لقناة السويس، منطقة نفوذ بريطانية، في حال إقامة وطن قومي لليهود فيها، فتحمي بذلك مركزها في مصر و تضمن الاتصال البري بالمناطق التابعة لها في الشرق.

4- تقدير بريطانيا لأهمية فلسطين الحربية و الروحية ، مما يجعل السيطرة عليها أمرا لازما لدولة مثل بريطانيا، فدخول اليهود إلى فلسطين سيثير النزاع بين السكان الفلسطينيين و اليهود، و بذلك تسند الحاجة إلى حاكم "محايد" لكي يفصل بينهما، و بذلك تضمن بريطانيا بقاءها في فلسطين إلى أمد غير محدود.

الهجرة الصهيونية إلى فلسطين المحتلة

اهتمت الحركات الصهيونية بمنظماتها و أحزابها و قيادتها و كتابها بموضوع تهجير اليهود إلى فلسطين اهتماما بالغا، منذ قيام الحركة الصهيونية بأرض فلسطين لتكوين حكم صهيوني، فاليهود القادمون من الدول المختلفة، هم الذين يمكن أن يكونوا هذه الدولة.

هذا و قد شهدت أوربا خلال القرن التاسع عشر انشغالا كليا بفكرة القومية، التي أثرت تأثيرا مختلفا على اليهود في أوربا، ففي أوربا الغربية حيث انتشرت فكرة القومية

بعد الثورة الفرنسية، كان رد فعل اليهود، أن اعتبروا اليهودية ديانة، و ليست قومية ، و أعلنوا ولاءهم للبلدان التي أقاموا فيها، أما في أوربا الشرقية، فقد كان رد الفعل مختلفا جدا إذ أعلن بعضهم فكرة القومية اليهودية و أعلن الصهاينة أن اليهود أمة مثل الأمم الأخرى، و لدى قيام الحركة الصهيونية كانت الأكثرية الساحقة من يهود العالمّ، تقيم في بلاد أوربا الشرقية، و الواقع أن نصف يهود العالم كانوا في روسيا القيصرية ، و قد كان هؤلاء يعيشون حياة شبه منعزلة في قرى خاصة بهم، إلا أنهم بعد الثورة الصناعية، انتقلوا للعمل في المصانع في المدن الكبيرة، التي تضخمت بشكل سريع، و كانت الحياة فيها صعبة بالنسبة للعمال، بما فيهم اليهود و لذلك فقد عم الفقر بين اليهود ،بالإضافة إلى الاضطهاد الذي يتعرضون له، و الذي زاد من مشاكلهم، و هذا ما دفعهم للتجمع و الإتحاد، و تكوين حركة خاصة بهم هدفها إنشاء وطن قومي لهم، لهذا الأسباب لاقت الصهيونية رواجا لدى الكثير من يهود أوربا الشرقية نظرا لحالة عدم الرضا التي انتشرت بينهم، كما أن الصهيونية وعدتهم بآمال واسعة عما يمكن عمله في فلسطين.

انخفضت حدة الهجرة الصهيونية إلى فلسطين خلال فترة الحرب العالمية الأولى، و انخفض عدد المهاجرين اليهود بين (85) ألف نسمة عام 1913 إلى (55) ألف نسمة عام 1918 ، إلا أن انتصار الحلفاء في الحرب أعاد الأمل بالنسبة لأهداف الصهيونية، و قد اعتبر الصهاينة صدور وعد بلفور، اعترافا بشرعية الهجرة و الاعتراف بالحركة الصهيونية العالمية.

المقاومة العربية للصهيونية

بدأت المقاومة العربية منذ أن اتضحت سياسة الصهيونية، عند تطبيق سياسة الانتداب و سجل العرب، عدة ثورات كانت تخفق لضعف تنظيمها و لسياسة القمع، التي كانت تمارسها سلطات الانتداب الإنجليزي، و في أعقاب كل ثورة، كانت تصل إلى فلسطين لجنة للتحقيق و اقتراح الحلول.

و بدأت الاضطرابات الدامية منذ عام 1920 عام الثورات في سوريا و مصر و العراق، و طالب العرب بإلغاء وعد بلفور و نظام الانتداب، و استمرت الثورات حتى اشتعلت الثورة في القدس و يافا عام 1921 فأعلنت الأحكام العرفية و توقفت الهجرة مؤقتا، و أذاع تشرشل رئيس الوزراء البريطاني، في 1 جويلية /تموز 1921 كتابا أبيضا، أكد فيه تمسك حكومته بوعد بلفور، دون تحويل فلسطين إلى دولة يهودية.

و لما احتجّ العرب على صك الانتداب، الذي يعترف بالوكالة اليهودية، نشرت حكومة الانتداب دستورا، يقضي بتأليف مجلس تشريعي من 11 عضوا من الانجليز و عضوين من اليهود و عشرة من العرب برئاسة المندوب السامي البريطاني، على أن تكون له الكلمة العليا، فقاطع العرب الانتخابات و أخفق المشروع، فألف المندوب السامي مجلسا عين أعضاءه تعيينا.

و عرضت بريطانيا على العرب، أن تمنحهم حق إنشاء وكالة عربية، كالوكالة اليهودية، فرفضوا أن يكونوا كالأقلية، فحكمت بريطانيا فلسطين حكما مباشرا و أصبح لليهود مدارس كثيرة و مؤسسات يديرها اليهود، و لغة عبرية رسمية، و منظمات عسكرية مدربة ، و دعموا مركزهم في فلسطين بالتنظيم و العمل و الدعاية و الحصول على رؤوس الأموال من الخارج، أما العرب فقد انصرفوا إلى مكافحة الصهيونية العالمية و الانتداب البريطاني بالاحتجاجات و العرائض و المظاهرات، والتفوا حول المجلس الإسلامي الأعلى الذي كان يرأسه الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين و احتجّ اليهود على الكتاب الأبيض وقد وجدوه في صالح العرب، فقاموا بمظاهرات في أوربا و أمريكا مدعومة بحملة من الدعاية الإعلامية، جعلت رئيس الوزراء الإنجليزي يكتب إلى وايزمن كتابا يفسر فيه ما جاء في الكتاب الأبيض تفسيرا يمحو فيه كل ما جاء لمصلحة العرب، و أخذت الهجرة تتدفق على فلسطين خصوصا بعد مجيء أدولف هتلر إلى حكم ألمانيا النازية لقد كانت الدعوة التي نادي بها قادة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر، تختلف عن دعواتهم السابقة، فهي دعوة سياسية استغلها الاستعمار لإقامة

مكتبة الفتح أغنى عاشور

الكيان في قلب الوطن العربي، و قد رسمت الحركة الصهيونية سياسة متكاملة لتحقيق برنامجها وفق الإجراءات المتتابعة التالية:

أ- العمل بكل الوسائل الفعالة على استيطان اليهود بفلسطين بواسطة عمال زراعيين و صناعيين من اليهود.

ب- تنظيم اليهود في العالم بأجمعهم من خلال منظمات محلية، و دولية تلائم أهداف الصهيونية .

جـ- اتخاذ الخطوات المناسبة نحو الحصول على موافقة الدول العظمى إلى الحد الذي تكون فيه موافقتها ضرورية لتحقيق أهداف الصهيونية.

د- تقوية العاطفة و الوعي القومي اليهودي.

كانت خيبة العرب كبيرة، عندما نجح الصهاينة بالتعاون مع القوى الاستعمارية الدولية في الحصول على وعد بلفور المشؤوم سنة 1917 القاضي بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين و إخضاع فلسطين للانتداب البريطاني تمهيدا لتقسيم الوطن العربي إلى مناطق نفوذ استعمارية، و يمكن القول ، أن آمال العرب انتعشت عندما أعلنت بريطانيا و فرنسا سنة 1918 بيانا مشتركا جاء فيه : إنهما يهدفان من الحرب العالمية تحرير الشعوب الخاضعة للنفوذ العثماني، و إنهما مستعدتان لإقامة حكومة مستقلة عربية في سوريا و العراق ، لكن نهاية الحرب و اتفاقية سايكس - بيكو و وعد بلفور كشف الحقيقة تلك، هي اقتسام الغنائم و تقطيع الوطن العربي و تجزئته إلى مناطق نفوذ للدول المنتصرة في هذه الحرب وفق مصالحها الاستعمارية.

(يتبع)

مكتبة الفتح أعز عاشق